رؤية تحليلية مختصرة حول الأسباب والظروف الذاتية والموضوعية التي أدت إلى انهيار الدولة الوطنية بالجنوب (الحلقة الثالثة والأخيرة)..

الجنوب إلى أين؟

تفاصيل كاملة لمرحلة ما بعد قحطان

استنتاجات ودروس انقلاب 26 يونيو 1978

الأمناء كتب/ عميد ركن - علي مثنى هادي :

بقراءة موضوعية حيادية لتاريخ ثورة 14 أكتوبر، ودولتها الوطنية التقدمية في الجنوب الديمقراطية في مراحلها المختلفة، وما رافق هذا التاريخ من معوقات وصعوبات، وأزمات ورؤى مختلفة ومتعددة ومتباينة، لواقع متخلف وموروثات متنوعة ومتشابكة، وكلها كانت ذات طابع سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي.

وقد صاحب تلك المرحلة تراكم معرفي وتعليمي متدني في عموم البلاد باستثناء مستعمرة عدن، وبعض الحواضر الجغرافية ناهيك عن ضعف شامل في البنية الأساسية لها الواقع القديم الجديد، والذي وجدت الدولة نفسها واقعة فيه، رغم أنها بنت تجربتها الجديدة على أنقاض موروث التراكمات السلبية والإيجابية المختلفة في المستعمرات، وأهمها عدن التي توفرت فيها منظومات إدارية ومالية وقانونية وبلدية متطورة بظروف ذلك الزمان، ووجود شكل من أشكال المنظومة السياسية التشريعية التي تشكلت قبل وبعد تشكل دولة اتحاد الجنوب العربي في نهاية الخمسينيات 1958م، والذي كان يضم حوالي (23) إمارة وسلطنة ومشيخة.

وتواصل "الأمناء" نشر حلقات المادة بعد أن نشرت حلقتين سابقتين، وتنشر الحلقة الثالثة، والأخيرة.

مرحلة ما بعد قحطان

لقد خيل لقيادة الجبهة القومية الجديدة التي استلمت زمام الأمور بعد 22 يونيو 1969م أن الأمور ستكون مهيأة لهم ومفروشة بالورود، وذلك بسبب نشوة الانتصار الواهم والإقصاء المخزي لرفاق النضال السياسي والكفاح المسلح، حيث اعتقدوا أن الظروف القادمة من دون الرفاق الأوائل ستمكنهم من المضي قدماً دون عوائق أو منغصات، مع العلم أن مرحلة ما بعد 22 يونيو 1969م، كانت من أصعب وأخطر المراحل التي واجهت القيادة الجديدة والدولة الوليدة على الإطلاق.

لقد كانت الخطوة الأولى التي اعتمدوا عليها في شكل النظام هو تشكيل مجلس رئاسة (القيادة الجماعية كما سميت) وحتى هذا الشكل الجديد لم يشفع لهم من الوقوع في الأخطاء صغيرها وكبيرها نظراً للقصور المعرفي وقلة التراكم الإيجابي والسلبي لإدارة الدولة بمفهوم جديد على الرغم من أن الخبرة أو التراكم لشكل الدولة قد كان قائماً نموذجيا من قبل الاستقلال.

صحيح أنه قد تمت الاستفادة من أهم منظومة حصل عليها العهد الجديد من الاستعمار البريطاني ودولة الاتحاد العربي ألا وهي النظام المالي والإداري والمحاسبي والمؤسسي المميز، وكان هذا مساعداً وعاملاً قوياً في السيطرة وضبط الأمور بفعل هذا النظام.

كما لم تتمكن القيادة الجديدة من إقصاء كل مكونات دولة اتحاد جنوب عربي وأهمها الجيش والأمن القديمين تحديدا؛ مما اضطرها إلى الإبقاء على الوضع كما هو عليه باستثناء تعيين قيادات جديدة بوزارة الدفاع والأمن من عناصر جيش التحرير للجبهة القومية وفي هذه المقاربة الواقعية ثبت صحة توجهات قحطان الشعبي ورفاقه الذين دفعوا حياتهم ضريبة لرأي صائب.

تعتبر مرحلة ما بعد 22 يونيو 1969م وحتى 26 يونيو 1978م من أنجح المراحل وأصعبها وأهمها على الإطلاق، حيث أدار سالمين المرحلة بحنكة وديناميكية مذهلة تمكن من خلالها وضع اللبنات القوية لبناء مؤسسات الدولة المختلفة على مراحل، وبوتيرة عالية بكل المقاييس وتم نشر ثقافة الدولة المدنية والوطنية في كل ربوع البلاد وتم وضع التشريعات والقوانين لكل مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية، وتعد هذه المرحلة الأساس القوي للانطلاق نحو المستقبل وتطوير النظام السياسي والقانوني للدولة، كما عززت هذه المرحلة بثقافة الانضباط الصارم والمسؤولية الشخصية في كل مفاصل الدولة فكان الضبط والربط والثواب والعقاب رمز الدولة المؤسساتية بكل امتياز.

كما كان لهذه المرحلة دور مهم في إبراز دور المنظمات الجماهيرية والشعبية من خلال إصدار قوانين تشكيلها مثل اتحاد العمال واتحاد الفلاحين واتحاد النساء والاتحاد الطلابي ولجان الدفاع الشعبي والمليشيات الشعبية والتعاونيات المختلفة الاستهلاكية والخدمية والتعاونيات الزراعية والسمكية ومدارس أبناء البدو الرحل، كما صدرت قرارات متنوعة وأهمها قانون محو الأمية، وخطا خطوات كبيرة في تعميم التعليم المجاني والعلاج المجاني، وإنشاء شركات ومؤسسات القطاع العام في المجالات الاقتصادية كافة، وغيرها كثير وكثير جداً... وتم بناء القوات المسلحة والأمن على أسس حديثة فكانت سياجاً حامياً للبلاد والعباد.

لقد كان النظام محط أنظار العالم، ويراقب مسار هذا النظام بدقة، فحظي بدعم دولي كبير، وبالذات من المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي، وكل دول العالم الحر الذي كان الحليف والداعم القوي للنظام والدولة، نظراً للخيارات الوطنية والتقدمية التي كان الإنسان محور سياساتها وإجراءاتها وهمها الأول والأخير، وبالمقابل تعاملت بعض الدول مع النظام بعدائية واضحة، وبالذات الدول المحيطة بالجمهورية الفتية ودول عربية أخرى، وبالتأكيد أمريكا وبريطانيا، وقد كان لقطع العلاقة مع أمريكا أثر كبير في التدخلات الأمريكية في شئون البلد من الداخل والخارج، كما كان لبريطانيا دور كبير في زعزعة الوضع من الداخل، بواسطة الحلفاء التقليديين والعيون الموجودة في دوائر النظام والجيش والأمن والمجتمع على حد سواء، حيث واجهت الدولة مجموعة كبيرةً من التحديات الداخلية والخارجية، على شكل تدخلات خارجية، منها الحصار الاقتصادي والحرب الدعائية المتنوعة واتهام النظام بالشيوعية والإلحاد، وتأليب وإيواء كل القوى التي كانت على عداء واضح مع النظام الجديد، وتشجيعها على افتعال العمليات العسكرية من خلال الحروب المتعددة والتفجيرات المتنوعة وتسميم الآبار وزعزعة الأمن والاستقرار في كل مناطق الحدود، وبالذات مع الشمال والسعودية، حيث كانت هذه الدول تدعم وتأوي كل المعارضين للنظام.

وتمثلت العمليات العسكرية وخلافها في الآتي:

1ـ حرب عام 1972م، التي تحالفت فيها قوات الشمال القبلية والقوى المعارضة للنظام من الجنوبيين بهدف إسقاط النظام.

2ـ حرب عام 1979م التي شنت بغرض اجتياح الجنوب.

3ـ العمليات العسكرية من قبل جيش الإنقاذ انطلاقاً من اراضي السعودية واليمن.

4ـ عدم الاعتراف بالدولة الجديدة من قبل الشمال والسعودية ودول أخرى.

5ـ الحصار الاقتصادي ومنع تحويلات حوالات المغتربين إلى الداخل.

وكل هذه الأعمال كانت تهدف إلى إسقاط النظام وحرف مساره، لكن تلك المحاولات باءت بالفشل، فهزموا هزائم نكراء ومتعددة، وأرغموا على التعامل مع النظام والاعتراف به، حيث أصبح أمرًا واقعًا ولاعبًا جديدًا وقويًا في المنطقة يحسب له ألف حساب.

لقد رافق هذه المرحلة جملة من الإجراءات الوطنية والتقدمية لتعزيز السلطة الجديدة وتقوية عودها مثل الإصلاح الزراعي وتأميم مرافق اقتصادية مهمة (حيث وصل عدد المؤسسات والمصانع الاقتصادية في عهد سالمين إلى 58 مؤسسة ومصنع) وكذا تطوير المنظومة السياسية والقانونية بالدولة وتعزيز قدرات القوات المسلحة والأمن وتطوير العلاقات الدولية مع العالم وحركات التحرر والأحزاب الثورية واليسارية وغيرها في كل العالم حيث كانت عدن ملاذاً لكل الأحرار في العالم.

كما اهتمت الدولة بالأمن القومي وجعلت من قضية الدفاع عن الوطن والمواطن مهمة الدفاع الشعبي وقوات الاحتياط العام للنظام السياسي؛ وهذا عزز من هيبة الدولة وظل الوطن والمواطن في امن وأمان دائم، حيث تستطيع الدولة أن تتحول بكاملها إلى حالة الحرب خلال 72ساعة إذا اقتضى الأمر.

وخلال هذه المرحلة، تمكن النظام بقيادة سالمين، من تحسين العلاقات مع بعض الدول في المنطقة والعالم، وتعززت علاقات اليمن الديمقراطية وتحالفاتها مع الجميع، إذ كان النظام يتمتع بمصداقية في السياسات الدولية، ومصداقية في الاستغلال العقلاني للمساعدات، وترشيد الاستخدام للدخل القومي المحدود في مجالات التنمية المتعددة، وكان لسالمين دور كبير في تعزيز العلاقات مع الصين الشعبية، نتج عنها مساعدات كثيرة ومتعددة في كل المجالات (إعفاء من الضرائب على الديون، ولا حقاً الإعفاء من الديون كلياً) كما عزز العلاقات مع دول الجوار، والشطر الشمالي على وجه الدقة في عهد إبراهيم الحمدي.

يبدو أن هذا الحراك السياسي والدبلوماسي الواقعي، كان يهدف إلى تعزيز القرار الوطني والندية والاستقلالية، حيث دُعم هذا التحرك بمنجزات كثيرة داخلياً، اقتصادية وتنموية وسياسية؛ إذ برزت إلى الواقع تحالفات سياسية جديدة مع بعض القوى في الداخل التي تشاطر الجبهة القومية الرؤى والتوجهات الفكرية والايدلوجية للنظام السياسي، كما رُوج لها حينها، وتم الإعلان عن التنظيم السياسي الموحد لجبهة القومية.

هنا يمكننا التوقف قليلاً وإعادة القراءة لهذا المشهد، وطرح سؤال بديهي، هل كان التحالف فعلاً لتطوير النظام بالتعددية الحزبية والشمولية، أم للوصول إلى سدة الحكم ومركز صنع القرار ـ ولكل حادث حديث؟.

أعتقد كما أعتقد الكثيرون أن ما آلت إليه الأمور لاحقاً، يؤكد أن المسألة برمتها كانت تحمل أجندة مصلحية وتحالفية ذات صيغ انتهازية ومنفعية، غرضها خلط الأوراق وتضعف النظام وتزيح الصقور من قيادة الثورة.

لقد أبهر سالمين العالم بإدارته للتحالفات والعلاقات المحلية والدولية والإقليمية، وللعلمية السياسية والاقتصادية والقانونية، والانضباط في دولة اليمن الديمقراطية، ذلك الأداء الذي حظي بدعم شعبي.

في الداخل وفي كل الأقاليم حيث ساهم في حرب 1973م، وفي إغلاق باب المندب والسماح للقوات المصرية والغواصات استخدام المضيق وأراضي اليمن الديمقراطي وجعلها تحت تصرف الاشقاء في مصر، وكذلك ساهمت القوات المسلحة التابعة لليمن الديمقراطي في دعم الفلسطينيين واللبنانيين في الحرب الأهلية في لبنان وطور العلاقات مع الرئيس الحمدي وكان على وشك وضع اللمسات النهائية للوحدة لولا.

كما شهدت هذه المرحلة قيام الحزب الاشتراكي اليمني على انقاض التنظيم السياسي الموحد الجبهة القومية، في وقت لم تتوفر فيه الشروط الموضوعية والذاتية لهكذا خطوة، وأعتقد أنه كان خطأ كبيراً وقفزاً على الواقع؛ حيث أن إرهاصات الفكر الاشتراكي العلمي كانت جنينية بالكامل لا من حيث فهم الثقافة المجتمعية بهذا الفكر، ونضج القيادات السياسية بمجملها لهكذا فكر، وكونها مجرد قناعات فردية وشطحات مزاجية لا يعتد بها فرضتها المرحلة ليس إلا.

وأعتقد أن سالمين وبعض القيادات في الجبهة القومية، كان لهم رأي بعدم التسرع لمثل هكذا خطوة؛ لسبب التراكم الضعيف للبنية الأساسية للنظام سياسياً واقتصادياً وفكرياً واجتماعياً؛ كون هذه الخطوة ستكون لها تبعات خطيرة لا تحمد عقباها، زد على ذلك أن عمر التحالف الجديد للتنظيم السياسي الموحد، لم يمر عليه إلا زمناً قصيراً جداً لا ينبني عليه مطلقاً الانتقال بالجبهة إلى حزب.

وقد أثبتت التطورات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، والسلوك اليومي والعملي للناس (كل الناس في الحزب) والبعيد كل البعد عن الواقع القاصر، وحجم الأزمات التي مرت بها البلاد تحت قيادة الحزب السياسية العبثية هذا المنحى الخطير.

كما تميزت هذه المرحلة بحدة التناقضات والتحديات الداخلية والخارجية، والرؤى المختلفة لقضايا استراتيجية كالوحدة والعلاقات الثنائية بين الدول، وتعزيز قوة القرار السياسي الوطني المستقل؛ حيث كان هذا التوجه يثير حفيظة البعض في الداخل والبعض في الخارج، ناهيك عن التجاوزات الخطيرة التي كانت تحدث في واقع الحياة اليومية العامة والخاصة، وكلها مفتعلة من قبل أطراف وأشخاص موتورين في الدولة وغيرها، من دون أي رادع لهم ومن دون معرفة وعلم الدولة وقيادتها العليا؛ حيث أساءت هذه الأفعال والتصرفات إلى سمعة الدولة وقيادتها وخاصة سالمين.

إن الأحداث المتسارعة والدراماتيكية التي حصلت بالشأن اليمني شمالاً وجنوباً، والتقارب بين النظامين الرسميين، بمعزل عن المنظومة القبلية العدو التاريخي للجنوب في عهد الحمدي وسالمين لم يرق لأحد في الشمال وخاصة الشيخ وقبيلته، وقد أثار حفيظة البعض الأخر في الجنوب وفجأة يقتل الحمدي بفعل فاعل ولم يوارى التراب بعد، حتى اغتيل الغشمي أيضاً بفعل فاعل ثاراً للحمدي، ولكن الأخير اغتيل على يد فاعل معروف للقاصي والداني، جاء من عدن على متن طائرة خاصة، من أرسله ومن كلفه بهذه المهمة الخطيرة التي تعتبر من انجح العمليات في الاغتيالات السياسية على الإطلاق حتى الآن مجهولاً وغير مجهول، ولكن النظام في عدن يتحمل قانونياً يتحمل تبعات هذا الفعل، فكان سالمين هو المستهدف؛ كونه الرجل الأول في البلاد، رغم أن صالح مصلح قد برأ سالمين من هذا الفعل، فكان سالمين هو المستهدف كون اللاعب الخفي أدار الموضوع بحنكة وسيناريو متقن، على إثرها أثيرت أزمة داخلية، قدم على إثرها سالمين استقالته جراء هذه الأزمة، وفضل الذهاب إلى الخارج متجنباً كل المخاطر التي إن حصلت ستعصف بالبلاد وتضعف النظام، وفجأة يندلع القتال بين الرفاق دون معرفة سالمين، ويهاجم سالمين ويعتقل ويحاكم خارج القانون ويعدم، وتعتبر هذه المحاكمة من أسرع المحاكمات في تاريخ الأزمات السياسية على الإطلاق، إنها قمة النذالة والعبثية والاستهتار بأرواح الخلق والعباد ومنافي لكل الشرائع على الإطلاق الدولية منها والخاصة.

وكما قال الشاعر مظفر النواب في قصيدته المشهورة (قتلوك يا آخر الأنبياء)، وأنا أضيف وأقول قتلوك يا آخر الأوفياء.

الاستنتاجات والدروس من انقلاب 26 يونيو 1978م

لقد قرأت وبالصدفة الوثيقة التحليلية ـ التي وقعت بين يدي وبالصدفة - والتي تناولت المرحلة من 1978م إلى 1986م، وكذلك الوثيقة النقدية لتجربة اليمن الديمقراطية، فلم أقتنع مطلقاً بما قرأت، حيث طغت السياسة العبثية والأيدلوجية الجهوية والهامشية والشعارات الطنانة الرنانة، وهذا يدل على أن مركز القرار والمنظر الجهوي لتلك المراحل كان منحازاً أو يريد تثبيت التهمة خارج المسار التاريخي والواقعي للأزمة، وحتى الجزء المتعلق بمؤامرة 13 يناير لم يقدم شيئاً يعتد به للمقادمات؛ نظراً لشمولية المؤامرة والتي أصبحت بحق مؤامرة، تنطبق عليها كل مواصفات الخزي والعار بكل المقاييس في ذلك الزمن المعيب بكل المقاييس، والعائبون كثير، حيث مر مرور الكرام على هذه الوثيقة لرفع العتب ليس إلا، ولم يشخصوا حقيقة المؤامرة والمرحلة بكاملها؛ ولأن التشخيص غير موضوعي لا يحمل بصمات قانونية هيّأت هذه الوثيقة الظروف والتجاوزات والعبثية المطلقة لمرحلة ما بعد 19078م، وما بعد 1986م على حد سواء.

لم تتعلمَ قيادة الحزب والدولة من دروس مرحلة ما قبل الاستقلال وما بعدها، حيث كانت السياسة خارج مسارها، والأيدولوجية بتهورها والشعارات بخبثها والتسلط المجنون والتجاوزات العامة والخاصة، سبب رئيس في الولوج إلى الانقلاب غير المبرر واللا منطقي، ففقدنا فيه رجلاً قائدًا بهامة الرئيس سالمين وبعض رفاقه، فتبا لهكذا أداء وهكذا مؤامرة.

لقد استمرت القيادة السياسية للحزب في تصنيف سالمين باليسار الانتهازي، فسالمين كان مناضلاً وطنياً وتقدمياً وثوريا واقعياً ومجرباً وبانياً للدولة الوطنية في الجنوب من دون منازع، فلتسقط كل تلك التصنيفات، ويخرس كل مروجيها وكاتبوها والذين مازالوا يعتقدون ذلك.

تعتبر سنوات تسلم سالمين للسلطة من أهم المراحل على الإطلاق؛ حيث تشكلت في عهده الأسس الصلبة والقانونية للدولة في كل المجالات، حتى أنصاف الرجال حوّلهم سالمين إلى رجال، وهي المرحلة الوحيدة التي يمكننا الاعتزاز بها في كل تاريخنا الحديث والمغدور.

أثبتت أحداث يونيو 1978م أن الحزب كان نمراً من ورق، ومعظم قيادته كانت مجرد أشباح من شياطين، لا يعرفون إلا القتل والدولة كانت تعاني من أزمة قيادة، وبمجرد أن يظهر قائد بهامة سالمين ويتمتع بهذه الخاصية القيادية يتم وأده وقتله، ولنا عبرة لما حصل لنا بعد سالمين ومجزرة 13 يناير 1986م خير دليل ومثال على ذلك.

حدثت تجاوزات وأخطاء قاتلة بحق الكثير من المواطنين، سواء بالقتل أو السجن أو الإقصاء في هذه المرحلة، قام بها معتوهون ودمويون داخل هيئات الدولة المختلفة.

***(قائد القوات الجوية والدفاع الجوي في دولة الجنوب).**